

كَيْفَ بُزِيَ يَهُودُ الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ أَوْلَادَهُمْ



ترجمه من الانجليزية
الدكتور محمد تقي الدين الهلالي

1403 - 1983

كيف يربي يهود الولايات المتحدة أولادهم



ترجمه من الانجليزية

الدكتور محمد تقي الدين الهلالي

1403 - 1983

الكعكات المقدسة ، داني يحب القصص

صلصل الجرس مؤذنا بفسحة الاستراحة فخرج الصبيان من روضة الاطفال للعب في ساحة الروضة الا داني ، فانه بقى في مكانه جالسا فناداه آمنون يا داني قم فاخرج ، لماذا بقيت في مكانك حالما ؟ فرفع داني بصره ونظر الى آمنون ثم را كأنه رآه للمرة الاولى في حياته ، فقال داني أنا ، لا لست حالما ، اسمع يا آمنون ، نطك تعرف أين الكعكات الثلاث ، فقال آمنون أي الكعكات ؟ فقال داني نسيت الكعكات الثلاث التي منعتها أمنا سارة للملائكة ، واثبت تعلم أن الملائكة لا يأكلون اذا فأن الكعكات ومن أكلها والملائكة لا يكونون ولا يجوعون ، أين الكعكات الثلاث المقدسة ومن من التلاميذ لا يحب مثل هذه القصة ؟ كأنهم يحبونها ولكن داني يحبها أكثر منهم جميعا فانه يسمعها ثم يحطب اعادتها مرارا وتكرارا ويقرأ آياتها المسطورة في التوراة ثم يقرأها ولا يشجع من قراءتها ، حتى في الليل وهو مضطجع على سريريه يفكر فيها بقلبه ، نعم هو لا ينقطع عن التفكير في هذه الحكاية الجميلة دائما يفكر فيما كتب في التوراة وما تقصده له المعلمة وللتلاميذ من أخبار سفينة نوح

(1) داني علم عبراني وهو تلميذ دانيال أحد انبياء بني اسرائيل عليه السلام .

وهو **ج بن عناق** الذي كان أتى جانبها سابحا في المياه الطوفانية وتشرح لهم المعلمة قصة إبراهيم « الخليل » عليه الصلاة والسلام حين كان صغير السن مع نمرود ملك العراق المجرم كل ذلك كان يستولى على لب داني ويغممه أكثر من غيره إلا أن الكتاب الذي بيده لا يفسر له كل شيء وكذلك المعلمة لا تستطيع أن تبلغ الغاية في شرح كل ما في ذلك الكتاب فينظر داني إلى أن يحاول بنفسه أن يفهم تفاصيل ذلك ، لكنه لا يصل إلى فهم كل ما يريد ، وفي ذات يوم وصل التلامذة إلى حكاية الأشخاص الثلاثة الذين جاؤوا إلى إبراهيم وسارة برسالة فرحت بها سارة فرحا عظيما وهي أنها ستحمل وتلد ابنا وفرح المصبيان بهم باستقبال الضيوف في خيمة إبراهيم وكان داني أكثر التلاميذ فرحا بسماع هذه الحكاية ، لأنه يحب الضيوف في المدرسة وفي كل مكان وهؤلاء ليسوا ضيوفا عاديين بل هم ملائكة نزلوا من السماء فضحك داني في نفسه لأن إبراهيم الرجل الصالح وسارة المرأة الصالحة لم يعرفا هؤلاء الضيوف أنهم ملائكة من السماء ففسرت لهم المعلمة الطيبة هذا السر الذي قرأوه في الكتاب ولم يفهموه وكان إبراهيم عليه

هذه القصة مذكورة في سورة الذاريات في قوله تعالى : هل لك حديث شريف إبراهيم المكرّم الخ .

السلام كريما مضيافا فرحب بضيوفه في خيمته ، وكان لهذه الخيمة أربعة أبواب في كل جهة من جهاتها الأربع باب ، حتى اذا جاء غيف جائع من أى جهة لا يحتاج أن يبحث عن الباب وكلما رأى ابونا ابراهيم ضيوفا فرح بهم وقامت أمنا سارة في الحال لتضع لهم طعاما ، فلما قدم ابراهيم الكمكات لضيوفه اخذوها بأيديهم ولمسوا بها شفاهم كأنهم يريدون أن يأكلوا لكنهم لم يأكلوا شيئا .

ولما بشروا سارة بأنها تلد ابنا ضحكت لأنها لم تصدق أنها تستطيع أن تحمل وتلد ابنا « لتقدمي في السن » فسألها ابراهيم أم ضحكت فاستحييت واعتذرت فانصرف الملائكة قالت المعلمة للصبيان هل قرأتم قط حكاية جميلة مثل هذه ؟ ثم أجابت طبعاً لا ، وكذلك داني رأى هذه القصة الحسن قصة قرأها في حياته ، فلما تمت القصة ارتفعت أيدي التلاميذ انساره الى أن لهم أسئلة كثيرة ، وكذلك داني رفع يده يريد أن يسألوا ألامها واذا بالجرس يצלل ايذاناً بانتهاء الدرس ، فحزن داني لأن الجرس قطع عليه مراده ، فقام الصبيان وخرجوا للعب في ساحة المدرسة ووقفوا في دائرة يخنون ويرقصون الا داني بقى جالسا لا يريد أن يلاعب ولا يرقص ولا يخن ولا يريد الا شيئا واحدا يريد معرفته وهو أين الكمكات

الثلاث المقدسة ؟ وكيف لا تكون مقدسة وأبونا إبراهيم أخذ الحقيق بيده وأما سارة صفت الكمكات بيدها والملائكة لم يأكلوا الكمكات المقدسة يقينا بل تركوها على المائدة في خيمة إبراهيم وهذه الكمكات المقدسة لا تبيس ولا تتغير غائبين هن ومن أكلهن : لم يزل هذا السؤال يتردد في ذهن داني ولم يجد له جوابا ، سأل المعلمة عنه وسأل أبناء وجده فكلمهم فقالوا لا ندرى هذا سؤال أعظم من أن نقرر على الجواب عنه ، فلم يزل داني يفكر ويقول في نفسه يا رب من يا ترى يحل هذا اللغز ؟ ومضت الأيام فتعلم داني في الروضة قصة إبراهيم وهاجر واسماعيل حين كان طفلا فتأسف داني على هاجر وابنها الضمآن في الصحراء ثم فرح بأنهما أخيرا وجدا الماء (1) وبعد ذلك تعلم شد وثائق اسحاق (2) ما أشد هول ذلك وتعلم داني القصة الى نهايتها ، وكان قلبه يخفق لأحداثها ، وأحاط علما بكل ما ترأه من ذلك ، ثم علم موت سارة

(1) انظر ما جاء في صحيح البخاري وغيره وفي كتب السيرة من طبع هاجر واسماعيل وطلب هاجر الماء فأكرمها الله ورزقها ماء زمزم .

(2) اختلف الآلة في من أمر إبراهيم بذبحه امر اسماعيل أم اسحاق ورجح ابن القيم انه اسماعيل ومنى كل حال قصة الذبح موجودة في التوراة وفي القرآن قبل تعالى في سورة الصافات : « وبشرناه بغلام حليم ، فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابيت افعل ما امرت مستجيبا ان شاء الله من الصابرين » الخ .

أما وملك إبراهيم المغارة التي اسمها مكثولة وأخذها
من يد عضرون الحثي علم ذلك كله قعدة بعد قعدة قرأ
ذلك وكتبه وصوره بيده في دفتره لكن كل ذلك لم يكفه ولم
يبرد غلته وبقي هذا السؤال يتردد في نفسه من أكل
كعكات سارة ، وكاد يستولي عليه اليأس من حل هذه
المشكلة التي أفضت مضجعه ، ثم مرضت المعلمة وهذا
يسوءه حقا فعلمت على صبيان الروضة ثلاثة أيام لم
يتعلموا شيئا ، ثم جاءت معلمة أخرى من روضة أخرى
فنايت عنها ، ثم خلفها غيرها من المعلمات ؟

وفي ذات يوم بينما الصبيان جالسون إذا بالجرس
يصل ويعد لحفلة دخل عليهم المدير وأما دخل خاطر
ببال دائي خاطر سريع ، وهو أن يسأل المدير عن الكعكات
الثلاث المقدسة لعله يستطيع أن يجيب عن سؤاله فرفع
يده فقال له المدير أسأل ، فسأله من أكل كعكات أما
سارة الثلاث فتبسم المدير وقال سأخبرك عما سألت
عنه فطارت قلوب الصبيان شوقا إلى سماع حديث المدير
فالتفت إليه من دائي ومسح رأسه بيده أيناسا له
ثم وقف وقال أيها الأجراء اعلموا أن ما سأقعه عليكم
وقع منذ زمان طويل جدا .

يجوار أرض إسرائيل كان الفلسطينيون يسكنون
وهم أعداء بني إسرائيل وكانوا أشرارا ، وكانوا طاغين

على بنى اسرائيل ياكلون غلة ارضهم وشمار اشجارهم
 وينهبون غنمهم وبقرةم ويحرقون غابات جبال اسرائيل
 ويقتلون الرجال والنساء والصبيان من بنى اسرائيل
 او يسبونهم الى ان قام في بنى اسرائيل رجل عظيم شديد
 البأس اسمه شمشون فكان انتصار بنى اسرائيل
 وانتادهم على يده وكان له يدان من حديد وقلب لا يعرف
 الخوف ، فقاتل الفلسطينيين وقهرهم وانقذ شعبه من
 شرهم فلم يستطع الفلسطينيون بعد ذلك ان يمسوا
 بنى اسرائيل بأذى ، فساد السلام والامن ارض اسرائيل
 زمنا طويلا ، وكان شمشون العظيم أميرا على شعبه
 وكانوا في احسن حال حتى وقعت حادثة مؤلمة ومصيبة
 عظيمة وذلك ان شمشون الشديد وقع في يد امرأة خبيثة
 وهذه المرأة سلمت شمشون الشديد الى الفلسطينيين
 فشحوا وثاق يديه ورجليه ، ومع ذلك كانوا يهابونه اذا
 نظر اليهم يرحبون ولا يستطيعون الهجوم عليه ، فقال
 الفلسطينيون ، ما دام هذا الرجل ييصر بعينيه لا نقدر
 ان نقترب منه ففعلوا نلقا عينيه هكذا قالوا وهكذا
 فعلوا ، وانتظروه حتى نام فجاء منهم عشرة رجال
 وفتقوا عينيه وكبلوا يديه ورجليه بالسلاسل والاقبال
 ونقلوه الى مدينتهم غزة ووضعوه في داخون بيت آلهتهم
 واخذوا يسخرون منه ويضحكون عليه .

وكان في غزة أهل بيت من بني إسرائيل قاطنين
وكان صاحب هذا البيت حدادا وقد بارك الرب في عمل
يديه ، ولم ينس قط هذا الرجل أرض آبائه وكان أيضا
يعلم ابنائه أن يحبوا شعب إسرائيل وأرض إسرائيل ألا
أن نفسه لم تطب بالرحيل من مدينة الفلسطينيين غزة
والرجوع الى أرض إسرائيل وقال في نفسه ان عدد
اخوتي كثير وتركوا أبينا قليلة ، وبعد سفرى اقتسم
اخوتي ميراث أبينا بينهم ، غلبت لى كرم ولا مزرعة
ولا جنة في أرض إسرائيل ألرجع الى هناك لأموت جوعا ؟
وكان هذا الرجل اذا جاء المساء وغربت الشمس وطلعت
الكواكب ترك شغلہ جانباً وجلس مع ابنائه يحدثهم عن
مستقر رأسه أرض إسرائيل ، وعن شعبه بني إسرائيل
ويسمى لهم جبالها وسهولها واحدا بعد واحد ثم
ينشدهم أناشيد إسرائيل بصوت مؤثر عازفا لهم على
آلات الطرب كالعود والمزمار ، وبذلك نشأ الاولاد على
حب أرض آبائهم مع بعدهم عن حدودها وأصغر ابنائه
يزرعيل كان يحفظ كل ما يقصه عليه والده ولا يزول من
قلبه وكان يقول في نفسه اذا كبرت لا أبقي في هذه البلاد
في أرض الفلسطينيين لأبد أن ألرجع الى شعبي ومستقر
رأس آبائي واشتغل في أرض إسرائيل وأعيش فيها
وهكذا كان يلقيم هذا الغلام في غزة مدينة الفلسطينيين

بجسمه ، وقلبه في أرض اسرائيل وكان دائما يبحث
عن أخبار بني اسرائيل ، فلما سمع بوقوع هذه الحادثة
المشؤمة وهي أسر بطل بني اسرائيل شمشون أسرع الى
داغون بيت آلهة الفلسطينيين ليرى عظيم اسرائيل
وليساعده ولما رأى عظيم بني اسرائيل أسيرا امتلأ قلبه
حزنا اذ رآه مكبولا بسلاسل الحديد ورآه واقفا بين
ساريتين عليهما يقوم البيت وصيحات الضحك والاستهزاء
تسمع من الخارج والفلسطينيون يقولون يا شمشون
الاسرائيلي انظر كيف قهرك الفلسطينيون هذا أسد قم
فماقتله ، لماذا أنت محبوس بين هذين العمودين قم
فاهدميما كما قلعت من قبل باب المدينة كل ذلك يسمعه
شمشون وهو واقف صامت لا يقول شيئا ، الا أن قلبه
مفعم بالأمسى ، فلما رأى ذلك يزرعيل الغلام رقى قلبه له
فذهب يزرعيل الى الجهة المقابلة ، وأخذ ينظر الى شمشون
والى الناس الذين هم واقفون حوله ، ولما انصرف أولئك
القوم وبقي شمشون وحده دنا منه يزرعيل وقال له همما
أنا غلام اسرائيلي مقيم بأرض الفلسطينيين ولكن قلبي
مع اسرائيل ومع جيش اسرائيل وأنا في خدمتك ، فمرنى
بما تريد ، من المساعدة فأينما ترسلنى أذهب ، وكلما
تطلب منى أفعله ، وكان كلام الغلام لطيفا تظهر عليه
امارات الصدق والعطف فخرجت تلك الكلمات من قلبه

ووصلت الى قاب شمشون ولما علم شمشون أنه صادق
تحدثت من عينه دمعتان كبيرتان وحارتان لكنه لم يفتح
فمه ولم ينبس ببنت شفة فقال الغلام مالك لا تجيبنى ؟
لا تخف ، قل كل ما فى قلبك ، لا يوجد هنا الا أنا ، وأنت
الفلستينيون ذهبوا جميعا حتى الحراس ولم يبق هنا
أحد غيرى ، تكلم يا شمشون بالله عليك سريعا وأجبنى ،
فأجاب شمشون الغلام قائلا شكرا لك أنا لا أخاف الموت
بعدما سمعت كلامك ما أجمل أن أعرف أن هناك قلبا
اسرائيليا يخفق بحب اخوته حتى فى أرض العدو لا تحزن
على يا يزرعيل أنا أعتبر نفسى ميتا فعلام أخاف ، لكن
أنت يا يزرعيل لعلك تطول بك الحياة بعدى فأوصيك أن
تذهب بحبك هذا الصافى وتعود الى شعبك وتتعاون مع
اخوتك لبناء دولة اسرائيل أنت ترى يدي مفلولتين وقد
أعرض الله عنى فأجاب يزرعيل لم تتكلم بمثل هذا
يا شمشون قال يزرعيل وقلبه ينتطح حزنا ان قدرة الله
تعالى لا تعجز عنك ان سقطت فى هذه المرة فلا تيأس ،
ألا تعلم أن المثل يقول ان الصديق قد يسقط سبع مرات
ثم يقوم لعلك تنتقذ من أيدي الفلستينيين وتعود الى
شعبك والى أرضك .

قال شمشون أنت غلام طيب يا يزرعيل أنى يكون
ذلك وأنا وحيد ليس لي نصير ولا معين كيف أرجع الى

شعبي والى ارضى وأنا مكبول اعمى بين عمودين فى هذا
 البيت النجس الذى هو مبنى بالحجارة فقال يزرعيل الا
 يوجد لعينيك دواء فقال شمشون لا ادرى لما كنت غلاما
 صغيرا فى سرعة وهى المدينة التى ولدت بها اخبرنى أبى
 أن بأرض جلعاد فى الشمال ينبت نبات عجيب ، لكنه لا ينبت
 الا مرة واحدة فى كل سبع وسبعين سنة ينبت بين الصخور
 وله نوار اذا وضعه الاعمى على عينيه رجع له بصره ورأى
 نور الشمس هذا ما سمعته من فم أبى فنظر يزرعيل من
 نافذة داغون بيت آلهة الفلسطينيين الى الطريق المتوجه نحو
 الشمال ثم قال اخبرنى بالحقيقة يا شمشون هل قال لك
 أبوك هذا حقا أم هى خرافة ؟ فقال شمشون أنا لا ادرى
 وهب ان هذا الخبر صحيح فمن يقدر أن يجد لى هذا
 الباسم الشافى العجيب لأعالج به عينى وزد على ذلك
 انه لا ينبت الا مرة واحدة فى كل سبع وسبعين سنة قال
 يزرعيل ومن يدري لعل هذه السنين تكون الآن قد تمت
 ويكن هذا أو ان نباته قال شمشون أنا ما بقى عذدى أمل
 البتة . أنا ميت ، ولا أريد الا شيئا واحدا ، أريده من الله
 وهو ان يعننى على الانتقام من هؤلاء الأعداء الذين
 أعموا عينى وعند ذلك قبل يزرعيل يد شمشون وقال له
 كن قويا وتشجع يا شمشون فالرب معك ، وشعب اسرائيل
 حى ، وخرج يزرعيل من بيت داغون ورجع الى بيت

والديه محزوننا قلقا لان عايه ان يحصل على البلسم
الشافي لعيني ثمشون وليكن ما عسى ان يكون .

ولما أخبر بذلك اباء واخوته الكبار قالوا له مسكين
أنت يا يزرعيل تصدق كل ما تسمع وهل يصير الاعمى
بحيرا ؟ انك تحلم في اليقظة .

خروج يزرعيل لأرض جلعاد .

خرج يزرعيل قاصدا السفر الى أرض جلعاد فبحث
عنه والده في كل مكان بالمدينة فلم يجد له أثرا أما يزرعيل
فتوجه الى الطريق السلطاني فوجد قافلة من أهل مدين
مسافرة الى الشمال للتجارة وابلهم تحمل كل نوع من
البضائع التي جاءوا بها من مصر ليبيعوها في بلاد
الشمال فدنا الغلام من المدينين وقال لهم أنا غلام
اسرائيلي أسكن في أرض الفلسطينيين أريد أن أسافر
الى أرض جلعاد ان شئتم ان تتكرموا على بأن تأخذوني
معكم فعلتم مشكورين ، وأنا مستعد أن أكون خادما لكم
في الطريق وإذا وصلنا جلعاد أغنيكم فضحك المدينون
من قوله فقال كبير القافلة نأخذ معنا هذا الغلام ليكون لنا
حاطبا ويستقي لنا الماء وسافر يزرعيل مع قافلة المدينين
ومروا بحدود اسرائيل ليتوجه الى أرض جلعاد التي في
الشمال فلما جاء المساء وحط المدينون رحالهم
للاستراحة في الصحراء وساد الهدوء وكان رجال القافلة

قد تعبوا . فاضطجعوا للنوم فلم يبق شيء يسمع إلا رغاء
 الأبل وحديث الحراس الجالس إلى النار يصطفونها ،
 وفي تلك الليلة أصاب كبير القافلة أرق شديد فقام من
 فراشه وأخذ يتفقد رجال القافلة وما معهم من الأبل
 والبضائع ليطمئن على سلامتهم ، وبينما هو يتمشى
 ويراقب القافلة إذ سمع صوتا فتوجه نحوه فوجد الغلام
 يزرعيل جاثيا على ركبتيه وهو يتضرع إلى الله في صلاته
 والدموع تنهمر من عينيه وكانت تلك الدموع تضيء
 كأنها مشاعل كبار في ظلمة الليل البهيم فتعجب كبير
 القافلة لأن ما رآه كان كالمعجزة ولما فرغ الغلام من صلاته
 دنا منه الشيخ وقال له إنك لغلام صالح وقد سمعت
 صلاتك فلم تسأل فيها إلا الخير لكل ما في نفسك
 فأتى اعطف عليك وحينئذ فتح الغلام يزرعيل قلبه وأخبره
 ببيت أبيه الذي في غزة وبما يحس به من حب شعبه
 إسرائيل وأخبار شمشون وما جرى عليه من المصائب
 وأخبره بالبلمس الشافي العجيب الذي في أرض جلعاد
 وأنه مسافر للحصول عليه فأوصى إليه الشيخ
 وأعجبه حديثه وقال له قمك هذه أثرت في قلبي تأثيرا
 شديدا وأنا مستعد لمساعدتك والحق أقول لك أنني
 ما سمعت قط شيئا من خبر البلمس العجيب ولا أعرف
 أين يوجد ولكن إذا قوى عزمك عليه فقم وتوجه إلى جلعاد

وفعل الله ما يشاء ، وهكذا تحاهدا على ذلك ، وكذلك رجال القافلة احبوا يزرعيل وأكرموه ، ولم يزل رئيس القافلة يحث رجاله على المضي في السير الى جلعاد لأن الثروة الكبيرة هناك فكانوا يغذون السير ليلا ونهارا ووجههم الى الشمال .

كيف نجا يزرعيل من الموت

ولما وصلت القافلة الى ميروم من أرض الاردن أخذ قاب يزرعيل ينبض بسرعة ، لأنه رأى من بعيد أرض جلعاد بلاد أحلامه فقوى أمله ولما اجتازوا الحدود التي بين الاردن واسرائيل تصدى للقافلة جماعة من الآراميين فوقعت ملحمة بين الفريقين وكان الآراميون أقوى وأكثر عددا من المدينيين فقتلوا كثير من المدينيين ووضع سائرهم في الأسر ولم ينج الا يزرعيل فإنه اختبأ ثلاثة أيام بلياليها في مخبأ وبقي مضطجعا لا يبرح مكانه فقال في نفسه وقد اتشد به الجوع خير لي أن أموت في أرض آبائي من أن أحيا عبدا في أرض الغربة أن الله لم يرض طريقى ولا عمالى وغمض عينيه وبقي ينتظر الموت وبينما هو كذلك ظهر له نور ففتح عينيه واذا بامرأة واقفة أمامه ننظر اليه نظر الأم الرحيمة لابنها فمدت المرأة يدها ليزرعيل وناولته كعكة لتحى بها فان هذا خبز مقدس جئت بك به لأحفظ نفسا اسرائيلية عزيزة مقدسة كل

ما تقدر ان تأكله والباقي احفظه في مزودك لتأكله في الطريق فسألها يزرعيل وما الطريق الذي أسلكه ؟ فقالت له خذ دائما طريق الجنوب المتوجه الى بئر السبع ومن هناك تذهب الى أرض فلسطين التي فيها بيت أبيك ، وأياك ان تسكن بعد الآن بأرض العربية يا بني اذهب بقوتك هذه وخذ أباك وأهلك وكل أهل بيتك وأرجع الى أرض آبائك الى اسرائيل ثم قال لها والدموع تملأ عينيه : والبلسم الشافي العجيب الذي فيه شفاء شمشون ؟ فقالت له رحم الله شمشون وأماته موت الابطال ولم يمض شمشون موت العبيد لم يمض شمشون حتى مات معه خلق كثير من الفلسطينيين (1) أكثر مما قتله في حياته منهم وبهذا ختمت المرأة حديثها أما يزرعيل فإنه لم يزل يسير ومعه بقية الكعكة وكلما جاع يأكل منها فشعر بقوة عظيمة لم يكن له بها عهد من قبل ، مشى يوما وليلة ولم يشعر بتعب ولم تمر أيام كثيرة حتى وصل يزرعيل الى بيت أبيه فلما رآه أبوه لم يصدق عينيه ، أما أمه فعانقته وهي تقول لم أيأس من بقائك يا بني ولم تزل نفسى تحدثنى أنك

[1] معنى هذا الكلام ان شمشون لما بنس من الحياة والخلاس من أيدي امرائه خُطر بباله ما ورد في التاريخ عن ذلك العربي الذي صرعه عدوه فجاء رفقاؤه يخلصوه منه فوجدوا عدوه جاثما على صدره كالقابوس فقال لرفقاته : اقتلوني ههنا غنينا فسقط البوت كله عليه وعلى من كان معه من الفلسطينيين المتفرجين .

ستعود إلينا ، ولما رأى الأب بطولة ابنه قال أنت الابن
 العزيز عندنا يا زرعيل أنت غلام طيب ، نحن مستعدون
 لتفعل كل ما تأمرنا به فارتحل وارتحل معه أهل بيته
 كلهم إلى إسرائيل وصار ليزرعيل اسم بين العظماء
 والابطال بعدما كبر ورأى يزرعيل فتاة تشتغل في الكرم
 فأعجبته فتزوج بها ، وبنى لنفسه بيتا في أرض إسرائيل
 وصار له بنون وبنات ، وفي ذات يوم جاءه أحد أحفاده
 وقد رجع من روضة الاطفال فجلس على ركبتيه وقال له
 يا جدي حدثتنا اليوم المعلمة بقصة ابراهيم أبينا وسارة
 أمنا وضيوفهما الذين زاروهما من الملائكة وفهمت كل
 شيء من ذلك الا الكعكات الثلاث التي صنعتها أمنا سارة
 لضيوفها واسم يأكلوها ، لأنهم ملائكة لا يأكلون ولا
 يشربون فأين هي تلك الكعكات ومن أكلها فمسح الشيخ
 رأس حفيده وقال له : الرب يعلم ما في نفوس الصديقين
 فينصرهم ويعينهم فيعطى إحدى الكعكات عبدا صالحا
 من عباده المؤمنين حين يراء جائعا ومضطرا وسالكا
 الحراط المستقيم وكان التلاميذ يستمعون لحكاية المدير
 بشغف عظيم كأن على رؤوسهم الطير فنظر إليهم وإذا
 بطفلة صغيرة تسيل الدموع من عينيها وتقول يا حضرة
 المدير قد علمنا مصير إحدى الكعكات فما فعل الله
 بالكعكتين الأخريين ، واكن المدير لما فرغ من حديثه في

قصة يزرعيل وشمشون ضرب الجرس مؤذنا بوقت
الاستراحة ، وصار التلاميذ كلهم يتسالمون عن الكعكتين
الآخرين من أكلهما فشكرهم المدير وهذا روعهم قائلا
سأخبركم بخبرهما فلتطب نفوسكم ولتقر أعينكم
فماطلب من المعلمة أن تسمح لى بوقت فى اليوم السادس
من الاسبوع وهو يوم الجمعة لأشرح لكم قصة الكعكتين
الباقيتين ، فلما كان يوم الجمعة مساء اجتمع التلاميذ
وكتبوا كتابا بموافقة المعلمة الى المدير ولما سمعت
المعلمة أن المدير يلتصق منها الأذن وتعين الوقت ضحكت
فبعث الكتاب الى المدير ، ولما جاء المدير الى الروضة
رأى التلاميذ قد أتموا عملهم المدرسى واستعدوا لتقديس
يوم السبت ففرح بذلك ، ورأى المدير المعلمة قد وضعت
منضدة فى وسط المقصورة وعليها غطاء أبيض وفوقه
أصص الأزهار وشموع البيت وفى وسطها صندوق
التبرعات لدولة إسرائيل ، ولما رأى الحبيان المدير مقبلا
أنشدوا نشيد السبت بلسان واحد ، وحييا التلاميذ المدير
فرد عليهم التحية بمثلها وقال عسى أن لا أكون قد قطعت
عليكم شغلكم فقات المعلمة لا لم تقطع علينا شغلنا
فتفضل فان التلاميذ متشوقون الى بقية حديثك وكلنا
آذان صاغية ، فجلس المدير على الكرسي وجلست المعلمة
الى جانبه ووقعت فى الروضة ضجة من الفرح والتشوق

فقال المدير أيها الأعراء اليوم أحكى لكم حكاية وقعت
منذ سنين كثيرة جدا ، بعد ثمسون العظيم وبعد داود
الملك غايه السلام وبعد يهودا المكابى وقع هذا الأمر طرد
الأعداء أباننا الاولين من أرضهم ، فأخذ اليهود يتنقلون
من أرض الى أرض ، ولا يجدون مستقرا حتى وصلوا
الى اسبانيا ، وفى أول الأمر استقبل الاسبانيون أسلافنا
اليهود بترحيب وفتحوا لهم أبواب أرضهم فأخذ اليهود
يعملون بجد ونشاط وبورك فى عملهم فحصلوا على مال
كثير وعيش رغد ، فكان منهم الاغنياء الكبار والتجار
والادباء والعلماء والشعراء وأيضا كان منهم الشجعان
أبطال المعارك ولكن دوام الحال من الحال ، فقد تنبه لهم
الحساد اللئام وقالوا فى أنفسهم ما بال هؤلاء اليهود قد
اثروا فى أرضنا واستولوا على خيراتها وصاروا فيها
هم السادة الأمراء يأكلون خيرات أرضنا ولا يعبدون
آلهتنا لهم نطردهم من بلادنا ونستولى على أملاكهم
الكثيرة ، واذا باليوم العصيب يجيىء على اليهود بعضهم
راكبون على الدواب وبعضهم يمشون على الاقدام
وبعضهم راكبون فى سفن هكذا خرجوا خروج الغرباء
المبعدين وكان عبديا وحيد أبيه وأمه وكان أبوه رجلا
معتزلا جدا وقد غرح به أبوه وأمه واجتهدا فى تعليمه
وتربيته على أعمال الخير ولكن المجرمين الأشرار ذهبوا

الى الملك ووشوا بوالد عبديا فجاءه رسل الملك وأوثقوه
هو وزوجته في بيتهما وحكم عليهما بالموت فقتلا أما
عبديا فأخذة الاسبانيون ووضعوه في بيت آلهتهم ليتعلم
دينهم ويتربى عليه وينسى دين أبيه وشعبه لكن الواقع
لم يكن كما أملوا واشتقوا .

ما كل ما يتمنى المرء يدركه
تجرى الرياح بما لا تشتهي السفن

فان عبديا مع صغر منه تظن لما أرادوا به وقال
في نفسه والله لا أنسى ديني ولا شعبي ولن
أعبد آلهة الاسبانيين أبدا ، لأنها آلهة
باطل ، وكان عنده كتاب التعليم العبراني قد خبأه ولم
يطلع عليه أحد منهم ، وبقرائه لهذا الكتاب كل يوم كان
أمله في النجاة ينمو وأخذ يعتقد جازما أنه سيأتي يوم
يعود فيه الى شعبه وكان بيت آلهتهم مغلق الابواب على
الدوام فلا أمل له في الخروج ولكن عبديا كان يصنى الى
ما يتحدث به الكهنة ، ولما سمع منهم نبأ اخراج اليهود
كلهم في يوم واحد من بلاد اسبانيا حزن حزنا عظيما
وخاف خوفا شديدا ، وقال في نفسه يا ويلي ان طرد
جميع اخواني من هذه الأرض فأى عمل يكون لى ولن
أنجح في الخروج بسلام من هذا البيت ، فأين أذهب وأين
أنجو ومن يفتح لى بابه ؟ هكذا كان الغلام يقول في نفسه

وأخذ مع ذلك يفكر في الفرار من هذا البيت واللاحاق
بأخوانه اليهود قبل أن يخرجوا من اسبانيا ، وفي ذات
ليلة أخذ حبلا وربط نفسه ثم ربطه الى الطاقة ونزل به
الى الارض وكان الحراس غائبين في ذلك الوقت بسبب
عطول الامطار وكانوا مستترين قريبا من البيت فأبصروه
وتبعوه ففر هاربا بكل قوته منهم واستمر كذلك حتى
وصل الى جماعة من اليهود وانضم اليهم فاستقبلوه بكل
سرور وقالوا له يا ويلنا فاننا لا نستطيع ان نجد لك بيتا
تأوى اليه لأننا خارجون جميعا من هذه الارض ، ولكن
ان أردت ان تصحبنا فتمال معنا تسير حيث سرنا ، لانك
أخونا ولما وصل الى الشاطئ ، وجد سفينة توثك ان تقلع
من الشاطئ ، الاسباني فركب غيبا ، وام تسر بهم الا
قليلاً حتى هجم عليها لصوص البحر واستولوا على أهلها
فقتلوا الشيوخ والعجائز وأخذوا من بقى من الرجال
والنساء والصبيان سبيا لبييعوهم عبيدا واماء فلما رأى
أن الخطب جلل ألقي نفسه في اليم فضحك منه اللصوص
وقالوا هذا حبي شجاع غني لا يشتريه أحد منا وكان
والد قد علمه السباحة ، فأخذ يسبح الى أن رأى خشبة
طافية على وجه الماء فتعلق بها ولم يقطع بقلبه ولسانه
عن ذكر الله والدعاء ان ينجيه الله فسبح يوما وليلة
فلما جاء الصباح رفع عبدا بصره فرأى اليابسة قريبة ،

فاشتد عزمه وسبح حتى وصل الى جزيرة في البحر ولم يجد في تلك الجزيرة ديارا ولا نافع نار ولا حيوانا ولا شجرة ولا نباتا ولا ماء عذبا واييس فيها الا الشمس فوق رأسه والارض تحت قدميه كأنها صحراء هذا مع ما هو عليه من التعب والجوع والعطش وبقي كذلك يومين وليلتين هائما على وجهه فلم يجد أثرا للحياة ، ولما اتشد به الجوع والجهد سقط على الارض مغشيا عليه فغمض عينيه وأخذ ينتظر الموت فما راعه الا ظل ظلاله من فوقه ففتح عينيه فإذا بنسر عظيم نزل بقربه ومعه كعكة تعبق منها رائحة الجنة فوضعها أمامه ثم بسط جناحيه وطار في السماء فلما أكل عبديا من تلك الكعكة انتعشت نفسه وعلم أن الله معه ، وأما سقط الفئات من الكعكة على الارض نبتت منه أشجار فاكهة لذيدة الطعم ، وبقي على ذلك أياما في كل يوم يذهب الى شاطئ البحر وينظر لعل سفينة تأتي ، وفي ذات يوم رأى سفينة تقرب من الساحل وتأمل فإذا هي من سفن اليهود المطرودين من اسبانيا تائمين في البحر فركب معهم في السفينة وبعد سبعة أيام وجدوا أرضا فنزلوا بها وكان ملك تلك الارض طيبا فسمح لهم بالاقامة في بلده والعمل في أرضها والاكل من ثمراتها ، فكبر عبديا وصار رجلا طيبا من أهل العلم والحكمة وتزوج امرأة فولدت له بنتين وبنتا ، ولما شاخ

وطعن في السن أوصى أبناءه بالعمل لكسب عيشهم
 والتمسك بدينهم إلى أن يتيسر لهم الرجوع إلى أرض
 آبائهم وأسلافهم إلى أرض إسرائيل ، لم تبق لنا إلا كعكة
 واحدة من الكعكات الثلاث التي حفظتها أنها سارة عندها
 وقالت لأبينا إبراهيم أنكث في عدن منعمين وأنا أعلم ان
 الآغا من أولادى من بنى إسرائيل يتضررون جوعا يوما
 بعد يوم ، أنا اسمع صلوات أحفادى يطلبون المعونة وهم
 في سوء ، وفي شدة ما أعظم رحمتى لهم وحزنى عليهم ،
 كل بنى إسرائيل محتاجون للمعونة ، للدواء أتعلم
 يا إبراهيم لمن ادخر هذه الكعكة المقدسة ادخرها لنفس
 عزيزة جدا لواحد من أحفادى ابن أو ابنة قلبه أشد حرارة
 من جميع الناس ، نفسه مقدمة وطيبة أكثر من جميع
 الناس ، هذه الكعكة محفوظة في يدى سنين بل مئات
 السنين لا ينالها أحد الا صفورة ابنة الفلاح وهي ابنة
 سبع عشرة سنة فقط ، وهي ابنة القائد الاسرائيلى ، ان
 صفورة لا تعلم ان أمورا عظاما تمر بها في حياتها القصيرة
 وترى من الخير مثلها ولكن ما تراء من الشر أكثر . في أيام
 طفولتها تواجه الموت وتعاينه وجها لوجه في بيت والدها
 بكنيسة وارشو من بلاد بولونيا ، قد هارست الموت
 وعرفته ، فان اللصوص قتلوا أهل بيتها أباه وأخاها
 الكبير واختها كلهم ماتوا بأيدي اللصوص ، ولم ينج منهم

الاصفورة ابنة عشر سنين بعد المعركة وجدها الجنود
ملقاة على الارض مريضة وجائعة فأخذوها الى المستشفى
فاخذت قوتها ترجع اليها ثيبا فثيبا وبعد يوم واحد
خرجت من المستشفى وذهبت الى مساكن اليهود
المهاجرين ، وفي تلك الايام كانت أرض اسرائيل مغلقة
في وجود اليهود فمضى أراد يهودي أن يدخل الى اسرائيل
وجب عليه أن يبقى منتظرا زمانا طويلا حتى يأذن له
الحكام البريطانيون في الدخول ، وقد أقام البريطانيون
حراسا على حدود أرض اسرائيل ولا يسمحون لليهود
المهاجرين ان يدخلوا أرض آبائهم ، ويقول المهاجرون
نحن لا نستطيع الانتظار أكثر مما مضى نحن نريد أن
ندخل أرض اسرائيل لننتعاون مع اخوتنا على اصلاح
الارض واعمارها وحراستها وهؤلاء المهاجرون يتعاون
معهم جميع يهود العالم ، وفي مقدمتهم يهودا أمريكا
فانهم ساعدوهم بكل ما يستطيعون بالمال والسفن الكبار
والصغار وكان الملاحون الاقوياء يوقفون سفن المهاجرين
على شاطئ اسرائيل أياما كثيرة والرجال والنساء
والصبيان في جوف البحر لا يسمح لهم بالنزول الى البر
وهم جياع وظمأى خائفون ، أما صفورة فكانت تتمشى
مطمئنة تساعد المرضى وتشجع الصبيان الخائفين وتهدي
روعهم وكل الناس ينادونها يا أخت لأنها تعاملهم جميعا

معاملة الاخت لأخوتها كثير من المهاجرين لما طال عليهم
الانتظار آتوا أنفسهم في اليم وحاولوا أن يسبحوا الى
الشاطئ، فكان الجنود البريطانيون يلتقطونهم ويأخذونهم
الى جزيرة قريية من حيفا، وحيفا، مدينة من أرض
اسرائيل ، وكانت صفورة من جملتهم فانها ألقت نفسها
في الماء وأخذت الى تلك الجزيرة وكانت صفورة تطيب
نفوس الصبيان وتقول لهم نحن الآن صغار وسيجيء
يوم نعود فيه الى أرض آبائنا ونتعلم العبرانية لانها
لغة شعبنا ولغة أرضنا ولغة التوراة ولغة المخلصين
الذين استعمروا الأرض وهياؤها للاقامة وأيضا نتعلم
العمل لأن أرض اسرائيل لا يستحقها الا العاملون فاستمع
رفقاؤهم لنصيحتهم وتعلموا
اللغة العبرانية وتعلموا العمل ، نعم سيجيء يوم نصير
فيه صفورة الى أرض اسرائيل مع رفقاؤها ، الى أرض
الجليل التي أعدت لهم وكذلك وقع فان صندوق التعاون
الاسرائيلي هياها لهم فحراثوها وزرعوها ، كل صباح
يخرجون للعمل وينشدون نشيد الأمل الاصفورة فانها
تبقى حارسة للصبيان الصغار ولشدة عنايتها بالاطفال
كان الناس يسمونها أم الاطفال لانها كانت تحبهم حبا
عديم النظير .

« صفورة عظيمة »

ثم جاء اليوم العظيم يوم الرب سنة 1948 ذلك
اليوم العظيم العجيب الذى قامت فيه دولة اسرائيل
فسمعت أصوات الفرح فى جميع جهات العالم وأصيب
يهود العالم كلهم برعدة السرور وسالت دموع الفرح
من أعينهم ولكن أعداء اسرائيل لم يفرحوا ولم يذوقوا
طعم الراحة فقامت قيامة جيران اسرائيل وهم العرب
وبذلوا كل جهدهم لآبادة دولة اسرائيل ان أعداء اسرائيل
قساة القلوب لا يرحمون شيئا كبيرا ولا صبيبا صغيرا
ولا امرأة ولا طفلا لكن بنى اسرائيل قاموا للحرب قومة
رجل واحد وكانت الملحمة قاسية ضارية وكانت القرية
التي فيها صفورة قريبة من حدود العدو فحاصر العدو
القرية حصارا شديدا فقال أهل القرية بعضهم لبعض
يا ليتنا وجدنا سبيلا لانتقاذ الحبيبان فقط من مكان الخطر
وحينئذ لا نعرف الخوف ولكن كيف نستطيع اخراجهم
والعدو محيط بنا من كل جانب وصعدت صفورة الى
برج الماء ونظرت الى ما حولها فلمعت عيناها بنور خاطر
خطر فى ذهنها ، فرجعت وقالت رفيقاتها أيتها الرقيقات
اذا جاء المساء يجب أن نخرج الاطفال من القرية هذا ما
أشير به عليكم ، فقلن وائنت يا صفورة ؟ فقالت ليس
أنا سأبقى هنا ، فقلن ولم ؟ فقالت هذا سر الجماعة لا أبوح

به فقلن لها وكيف نخرج ؟ فقالت تخرجن بالسيارة
 وتسلكن الطريق المتوجه الى الجنوب الى حيفا المدينة ،
 وسوف يستقبل الصبيان هناك بفرح ، أخرجن من الباب
 الكبير ولا تخفن فان العدو لا يراكن فاذه مفتوح عنكن
 لوقت ما ، فقلن لها وكيف علمت ان العدو قد تنحى عن
 طريقنا الى وقت ما ؟ فقالت هذا ايضا سر الجماعة لا أبوح
 به وصار الامر يكاد كما قالت صفورة ، جاءت السيارة
 كانت طلقات الرشاشات تدوى في الجو وكانت تلك
 الطلقات من رجال العدو من الجهة الاخرى للقرية ،
 فسارت السيارة التي فيها الصبيان تنهب الارض نيبا
 متوجية الى حيفا ، والآن ينبغي لنا أن نعود الى صفورة
 لنعلم كيف خرجت بنفسي من القرية ووصلت بسلام الى
 رفيقاتها قالت صفورة لرئيس الجماعة انها تريد أن تخرج
 في تلك الليلة وتحير خلف معسكر العدو حتى تصل
 الى جماعتها فأبى عليها الرئيس وقال لها نحن لا يمكن
 ان نرسل فتاة تواجه الموت نرسل بذلك شابا ، فتبها كثير
 من الشبان للذهاب ولكن صفورة أبت بعناد وتحلبت في
 رأيها فقالت له لا ثم لا ، ان الشبان قليل عددهم ونحن
 محتاجون اليهم للقتال ، فيجب أن نحافظ عليهم والله
 لو أنى أعرف كيف أقاتل لو ددت أن أقاتل معكم العدو
 وحينئذ لا أعرف ما هو الخوف ، انى أعرف كيف أخفى

نفسى وأصل الى جماعتى فى هذه الليلة فرأى رئيس
الجيش الصدق فى عينيها ووافقها على مرادها
فلبست صفورة جلد كيش وأخذت تمشى على أربع قرآها
العرب وظنوها شاة هاربة من غم العبرانيين وقالوا ان
العبرانيين خافوا ان يخرجوا من معسكرهم ليردوا هذا
الكبش فمرت الفتاة تمشى على أربع ولم يمضها أحد
بسوء حتى صعدت الربوة وأخذت منظرها ونظرت الى
ناحية المعسكر ، فرأت أنها قطعت مسافة لا بأس بها
ورأت السيارة التى فيها الصبيان سائرة تقطع الارض
وانوارها تسطع وقد قربت من مدخل مدينة حيفا ووصلت
بسلام ، ولما رأى العرب انوار السيارة أطلقوا عليها
النيران فلم يصيبوها أما صفورة فنزلت من الربوة بسرعة
واختفت بين الاشجار ، ولكنها فجأة شعرت بألم فى رجلها
فوضعت يدها على رجلها واذا بالدم يخرج وهى لا تدري
لماذا يخرج الدم ولم تدر أنها أصيبت برصاصة من
رشاشات العدو واستمر الدم سائلا ، فعند ذلك قالت
صفورة فى نفسها هذه نهاية الامل ، ورأت غمامة سوداء
تمر أمام عينيها ثم أغمى عليها وأما استفاقت وجدت
نفسها ضعيفة جدا لان خروج الدم الكثير من جسمها نهك
قواها حتى لم تقدر على القيام وكانت جائعة لم تأكل شيئا
منذ الصباح وشفتاها يابستان لانها لم تشرب ماء فقامت

صفورة في نفسها الآن لم يبق لي أمل في الحياة وفي تلك اللحظة ذكرت صفورة كلما مر عايتها في حياتها من يوم مات والدها الى تلك اللحظة ، عرفت ان حياتها كلها كانت مرة جدا وان الظلام في حياتها كان أكثر من النور وان الحزن في حياتها أكثر من الفرح فبكت صفورة ومع ذلك لم تدع صفورة لنفسها بل كان دعاؤها لقومها وللصبيان الذين سافروا في السيارة لان الصبيان كانوا في خطر فلعلهم خرجوا من الظلام الى النور ثم فتحت عينيها ونظرت الى السماء وقالت بصوت خافت يا رب احفظ بني اسرائيل في طريقهم فانهم طيبون وأغراء وبينما هي كذلك اذا بنور عظيم مقبل عليها فمدت يدها بكل قوتها الى النور فوجدت في يدها كعكة فلما وضعتها على فمها زال عنها كل ما كان عندها من الالم والحزن فامست عيناها وعاد لها أملها ولما علمت أن تلك الكعكة هدية كريمة قامت صفورة من مكانها وفي ظلمة الليل توجهت الى مساكن بني اسرائيل تتحد معهم في المعركة المقدسة ولما رآها أهل القرية فرحوا كثيرا وازداد فرحهم لما جاءت البشارة من حيفا وعلمت ان الصبيان وصلوا بسلام وكل الرفقاء نظروا الى صفورة العظيمة نظرة اجلال واعجاب فامتلأت قلوبهم شعورا بالشكر لله تعالى ولما جاءت احدي الصديقات بطعام قالت لها شكرا

يا ربقة لا حاجة لى بالطعام خذى هذا الطعام للمقاتلين
ولا تهتمى بى أنا لأنى أكلت .

ولما فرغ المدير من حديثه وقعت ضجة فى الكتاب
من شدة الغبطة والفرح وأخذت الدموع تنهمر من أعين
كثير منهم من شدة تأثرهم بما سمعوا وشكروا المدير
الذى يعرف كل شئء ولا سيما سر الكعكات الثلاث التى
صنعتها أمنا سارة ، وكان لدانى مع ذلك أسئلة يريد أن
يسألها ولكن المعلمة تهيأت للنشيد فرفعت صوتها بالنشيد
وشاركها الصبيان كلهم .

« تنبيه »

قال محمد تقى الدين مترجم هذه القصة من أصل
عبرانى لا أرى بى حاجة الى زيادة شرح وبيان فإنا
القصة واضحة فى مدلولها ولكنى أريد أن أخبر القراء
الكرام بخبر يهمهم معرفته وهو ان كل صبى أو صبية
من أبناء اليهود فى الولايات المتحدة له مدرستان عليه
ان يتعلم فيهما ، الاولى المدرسة العبرانية كل يوم يتوجه
اليها لدراسة اللغة العبرانية والتوراة وتاريخ اليهود
وكتب العقائد والعبادات والثانية المدرسة العامة التى
لا بد لكل مستوطن فى الولايات المتحدة أن يتعلم فيها
لينال حقوقه المدنية كاملة وكل هؤلاء التلاميذ ينجحون فى
المدرستين ، أما أبناء العرب والمسلمين فحالهم معروفة

فلا يهتم آباؤهم إلا بتحصيل شهادات تضمن لهم المعيشة وكثير منهم وخصوصا الاغنياء ينامون أبناءهم وبناتهم الى مدارس دعاة النحرانية ويدفعون أجورا غالية زيادة على حرمان آبائهم من التربية الصالحة التي تجعلهم أعضاء صالحين في قومهم محافظين على دينهم وكرامتهم والله الموفق .

وصلى الله على خير خلقه وآله وصحبه ومن اقتدى به الى يوم الدين ؟

انتهت ترجمة هذه القصة مساء اليوم 26 من الشهر الخامس سنة 1393 من هجرة النبي الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم ، وفيها عبرة لمن يعتبر وكان ذلك بالمدينة النبوية على من شرفها الله به أفضل الصلاة والسلام .

نتيجه :

لا أدري هل ترجمت هذه القصة من الانجليزية أم من العبرانية أم منهما جميعا وفيها عبرة للعرب والمسلمين وحافز لهم لتعلم دين الاسلام وتعليمه للصغار والكبار اذا أرادوا أن يرجع لهم ما كان لآبائهم من العز والنصر .
« والله على كل شيء قدير »

مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء